

-٢-

**القاضي شهاب الدين
ابراهيم بن ابي الدم الحموي
وكتابه التاريخ المظفري**

**م.د. نور سعد محسن
كلية الإمام الأعظم الجامعة**

المقدمة

هذا بحث يدور حول المؤرخ الشامي شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله الحموي المعروف بابن أبي الدم، ومنهجه في كتابه «التاريخ المظفري».

يتمتع هذا الموضوع بأهمية كبيرة كونه يلقي الضوء على شخصية المؤرخ ابن ابي الدم الذي يُعد من المؤرخين البارزين في بلاد الشام وممن لم يحظى بشهرة كبيرة على الرغم من علمه ومن مؤلفاته العديدة والتي من أبرزها التاريخ المظفري وهو من الكتب المهمة التي تتناول تاريخ الإسلام، وكذلك نرى أهمية هذا الموضوع كونه يعرفنا من خلال هذا المؤرخ على أنماط الكتابة التاريخية خلال القرن ١٣/هـ م.

تناولت الموضوع في مبشرين الأول ركز على السيرة الذاتية للقاضي شهاب الدين ابراهيم بن ابي الدم، فنذكر اسمه ونسبه وأهم مؤلفاته بالإضافة إلى رحلته العلمية انتهاءً بأهم الملامح السياسية والفكرية التي سادت في عصره، أما المبحث الثاني فخصص لمنهج ابن ابي الدم فتناول فيه اساليب الكتابة التاريخية في القرن ١٣/هـ م وموارد ابن ابي الدم في كتابه التاريخ المظفري انتهاءً بأبرز ما ميّز ابن ابي الدم في كتابه التاريخ المظفري.

أبرز الصعوبات التي واجهت مسألة البحث في هذا الموضوع هو ندرة المعلومات عن شخصية هذا المؤرخ الشامي في المصادر القديمة والحديثة على حدٍ سواء، بالإضافة إلى ضياع معظم أجزاء كتاب التاريخ المظفري من المكتبات. ومن أبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث هي كتب التراجم والتي غطت مساحةً واسعة من البحث حيث فيها ترجمات وإن كانت مختصرة لابن ابي الدم إضافةً الى تراجم لشخصيات كثيرة وردت في صفحات هذا البحث، بالإضافة إلى كتب الطبقات وكتب متنوعة اخرى أغنت صفحات البحث.

المبحث الأول

التعريف بالقاضي شهاب الدين إبراهيم بن أبي الدم الحموي وعصره

⊙ أولاً: اسمه ونسبه

هو شهاب الدين أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد بن فاتك بن زيد بن أبي الدم.^(١) ويكتفي أبو الفداء في تاريخه بنسبة ابن أبي الدم إلى جده الثالث ملحقاً بها كلمة الشافعي.^(٢)

(١) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب ارنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي، ط ٩ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج ٢٣، ص ١٢٥؛ أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو - محمود الطناحي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، بلا- ت) ج ١، ص ٤٥؛ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ج ٢، ص ٩٩؛ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج ١، ص ٤٧؛ عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا- ت) ج ٣، ص ٢١٣؛ إبراهيم فرغلي، الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠) ص ١٤٨.

(٢) عماد الدين اسماعيل بن عمر أبو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر (بيروت: دار الكتب اللبناني، بلا- ت) ج ٦، ص ٧٦.

اما حاجي خليفة فيذكر ابن ابي الدم ثمانى مرات باسم ابراهيم بن عبد الله الحموي وقد يضيف إلى نسبه بابن ابي الدم الحموي أو الهمداني الشافعي او الهمداني الحموي الشافعي لأنه ولي قضاء همدان.^(١) أما ابن واصل^(٢) وهو معاصر لابن ابي الدم يشير إلى نسبة مختصرة وهي ابراهيم بن عبد الله بن ابي الدم.^(٣)

ونلاحظ على الرغم من الإختلافات التي ترد في المصادر عند الإشارة الى شخصية هذا المؤرخ إلا أنها جميعاً تذكره بابن ابي الدم.

○ ثانياً: حياته

ولد ابن ابي الدم في مدينة حماة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ونشأ وترعرع في هذه المدينة^(٤). ثم انتقل الى بغداد وتفقه فيها.^(٥) وبعدها ذهب الى القاهرة وسمع فيها المحدثين.^(٦) ودرس بالموصل على مشايخها ويذكر ذلك هو في كتابه حيث يقول «وافقنا على ذلك بعض

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، صص٤٧، ١٢١٨-٢٠٠٨.

(٢) ابو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل القاضي جمال الدين قاضي حماة الشافعي الحموي أحد الأئمة الأعلام، ولد بحماة سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، وكانت وفاته سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م، برع في العلوم الشرعية والعقلية والأخبار وأيام الناس، صنّف ودرس وأفتى واشتغل وبعُدَ صيته، ولي القضاء مدة طويلة. عن سيرته انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات (دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٩٥٣) ج٣، صص٨٥-٨٦.

(٣) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (القاهرة: دار الكتب، ١٩٧٢)، ج٤، ص١٧٤.

(٤) ابن عماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٣؛ اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (بيروت: دار احياء التراث العربي، بلا-ت) ج١، ص١١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٥ (بيروت: دار العلم المبيّن، بلا-ت) ج١، ص٤٩.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٣.

(٦) المصدر ذاته.

مشايخنا بالموصل»^(١) ثم درس بالشام.^(٢)

بعد هذه الرحلة العلمية بدأ ابن ابي الدم بالعطاء والإنتاج حيث نضج علمه وجمع العلوم بعد أن قطع البلاد ولقي العلماء وأخذ منهم فبدأ بالإشتغال بالتدريس والتعليم فَحَدَّث بالقاهرة بعد أن درس فيها، كما حَدَّث في كثير من مدن بلاد الشام ثم استقر في حماة وحَدَّث فيها ونشر علمه على أهلها ثم تولى قضاءها واستمر بذلك إلى وفاته.^(٣)

تفقه ابن ابي الدم على المذهب الشافعي وصار اماماً فيه، وكان صاحب حلقةٍ وطلاب^(٤) ويؤكد ذلك ما ورد في مقدمة كتابه «الدرر المنظومات» «وان جماعة من اصحابه المشتغلين عليه بعلم المذهب الشافعي سألوه بوضع كتاب في أدب القضاء....وان الموانع تمنع، والاشتغال بتتقيح المذهب وتحقيقه يشغل عن ذلك ويقطع، وان علم المذهب هو المرتبة العليا، وتحصيله هو المنية القصوى، اذ هو النافع في الدنيا والأخرى»^(٥).

سمع ابن أبي الدم من أحمد بن سكينه،^(٦) وحدث بمصر ودمشق وحماة.^(٧) كان ابن أبي

(١) شهاب الدين ابي اسحق ابراهيم بن عبد الله الهمداني الحموي المعروف بابن ابي الدم (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)، أدب القضاء، تحقيق: محيي هلال سرحان (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ج ١، ص ٤٧٨.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢١٣.

(٣) المصدر ذاته.

(٤) المصدر ذاته.

(٥) ابن أبي الدم، أدب القضاء، ج ١، صص ٢-٣.

(٦) هو الضياء أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن عبدالله البغدادي المعروف بابن سكينه، كان حجة وعلمًا من أعلام الدين، أخذ الفقه والخلاف عن ابن الرزاز والحديث عن ابن ناصر وحصل علم القراءات والعربية على ابن الخشاب، طال عمره حتى صار مسند العراق، كانت ولادته سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م ووفاته سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م. انظر عن سيرته: جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ / ١٤٧٠م)، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ج ٢، ص ٦٠.

(٧) الذهبي، سير، ج ٢٣، ص ١٢٥.

الدم عالماً باللغة والأدب وله نظم ونثر وكان عالماً بالتاريخ والأخبار.^(١)
عاصر ابن أبي الدم الكثير من الفقهاء والمصنفين منهم مؤرخ الدولة الأيوبية جمال الدين ابن واصل الحمودي. وقد ساعده هذا الوسط العلمي أن ينشأ محبا للعلم وأهله.
لقي ابن أبي الدم الحظوة والمكانة المميّزة لدى الخليفة العباسي الناصر لدين الله^(٢) (٥٧٥-٦٢٣هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) ويذكر ابن واصل انه قدم الى حماة و عليه خلعة الخليفة^(٣). وفي ايامه الاخيرة ارسله الملك المنصور الثاني صاحب حماة مع الشيخ تاج الدين احمد بن محمد الى خليفة بغداد المستعصم بالله^(٤) (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) مع مقدمة لكن ابن أبي الدم مرض بالمعرة ولم يكمل سفارته الى بغداد.^(٥)

○ ثالثاً: مؤلفاته

ترك بن أبي الدم العديد من المؤلفات والآثار العلمية تنوعت مواضيعها بين الحديث والفقه والقضاء والتاريخ ومنها:-

١ - التاريخ المظفري:-

وقد ذكره جمال الشيال في مقدمة كتاب «مفرج الكروب في أخبار بني ايوب» لابن واصل حيث يقول عنه «إن التاريخ المظفري هو تاريخ لصدر الدولة الأيوبية»^(٦).

-
- (١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢١٣؛ الصديقي، الوافي، ج٦، صص٣٣-٣٤.
(٢) كان اطول خلفاء بني العباس حاكماً حيث امتد حكمه بين (٥٧٥-٦٢٣هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) عن سيرته انظر: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) صص٦٥-٦٦.
(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، صص٦٥-٦٦.
(٤) وهو آخر خلفاء بني العباس وانتهى عهده باحتلال المغول لعاصمة الخلافة بغداد ودامت خلافته (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) عن سيرته انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص٤٢٧-٤٣٠.
(٥) ابو الفدا، المختصر، ج٣، ص١٧٣.
(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٩.

وتبرز أهمية التاريخ المظفري وقيمته أن صاحبه كان شاهد عيان وراصداً لأحداث عصره ومدوناً لأخباره عن كتب ومن هنا ترتفع منزلته كمؤرخ للعصر الأيوبي الأول ويعتمد على هذا الكتاب ابو الفدا وكان أحد مصادرهِ وقال عنه «إن التاريخ المظفري يختص بالملة الإسلامية في نحو ست مجلدات»^(١) ويسميه حاجي خليفة «التاريخ الكبير المظفري»^(٢).

٢ - الفرق الإسلامية:-

ويذكره حاجي خليفة في كشف الظنون حيث يقول «وصنف القاضي شهاب الدين أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن ابي الدم كتاباً في الفرق الإسلامية»^(٣).

٣ - شرح مشكل الوسيط:-

قام ابراهيم بن ابي الدم بشرح الوسيط في الفروع لأبي حامد الغزالي^(٤) ويذكر حاجي خليفة تصنيفه لهذا الكتاب بعبارة «وابن ابي الدم شرحه في نحو حجم الوسيط مرتين وهو شرح مشتمل على نكت غريبة»^(٥).

(١) ابو الفدا، المختصر، ج٦، ص٧٦.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص٢٠٠٨.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١٢١٨؛ البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص١١.

(٤) هوزين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي الغزالي، ولد سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) أما وفاته فكانت سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) بمدينة طابران. عن سيرته انظر: الذهبي، سير، ج١٩، ص٣٢٢؛ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ج١، ص١٦٥؛ بهي الدين زيان، الغزالي ولمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) صص ٣٣-٥٣.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١٢١٨.

٤ - أدب القضاء:-

وعنوانه يرد في كتاب «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين السبكي،^(١) ويسميه ابن العماد «أدب القاضي».^(٢)

٥ - فتاوى ابن ابي الدم:-

وهي مجموعة فتاوى أفتى بها ابن ابي الدم وقد ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون.^(٣)

٦ - تدقيق العناية في تحقيق الرواية.^(٤)٧ - شرح الوسائل للغزالي في الفروع.^(٥)

⊙ رابعاً: وفاته

كانت وفاته في حماة بعد أن عاد من المعرة التي مرض بها أثناء توجهه إلى بغداد وكانت وفاته سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م.^(٦)

⊙ خامساً: أهم الملامح السياسية والفكرية لعصره

يمكن القول ان سنوات القرن السابع الهجري كانت الأسوأ في تاريخ المسلمين، حيث كان الغزو الصليبي في أوجه ثم تلاه الغزو المغولي الذي تعرضت له بلدان الخلافة الإسلامية، فضلا عن ما كانت عليه الأوضاع الداخلية من ضعف وتمزق تمثل في الصراعات بين الملوك والسلاطين مما ساهم في تشتيت الجهود الرامية لصد المخاطر التي كانت تعصف بالمنطقة.

(١) طبقات الشافعية، ج ١، ص ٤٦.

(٢) شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢١٣.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٢١٨.

(٤) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٤٩.

(٥) البغدادي، هدية العارفين، ج ١، ص ١١.

(٦) ابو الفدا، المختصر، ج ٣، ص ١٧٣؛ الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٤٩.

كان القاضي ابن ابي الدم الحموي مشاركاً في جميع النواحي السياسية والعلمية لمدينة حماة التي عاش فيها، حيث اعتمد عليه ملوكها وقربوه، فكان قد تولى منصب القضاء في عهد الملك المنصور محمد^(١) (٥٨٧-٦١٧هـ/١١٩١-١٢٢٠م).^(٢)

هذا فضلاً عن السفارات التي كانت يرسل بها إلى الحكام والملوك سواء من ملوك البيت الأيوبي أو الخلافة العباسية.^(٣) نستطيع القول أن أهم ما ميز عصر ابن ابي الدم الحموي سياسياً هو قضية الحروب الصليبية، فقد كانت ولادته سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وهو عام معركة حطين^(٤) والتي مثلت قمة الصراع العسكري بين المسلمين والصليبيين ولم تكن آخر حلقات هذا الصراع فقد استمر بعدها وقد عاش ابن ابي الدم كل حياته في عصر الحروب الصليبية ولا شك أن في ذلك تأثير كبير على أسلوب كتابته الذي نراه في مصنفاته المختلفة. كذلك تعرضت بلاد الشام إلى هجمات الخوارزميين^(٥) الذين اتسمت هجماتهم على بلاد الشام

(١) هو محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهينشاه بن أيوب، كان شجاعاً محباً للعلماء، صنف كتاب «المضمار» جمع فيه جملةً من التاريخ وأسماء من ورد عليه وأقام عنده في عشر مجلدات، وكان قد حفظ المسلمين عند مهاجمة الفرنج حماه سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م، كانت وفاته بحماة في شوال سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م واستلم الحكم بعده ابنه الناصر قليج أرسلان. عن سيرته انظر: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق: ابراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ج ٥، ص ١٨٨.

(٢) ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٧٣.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٥، صص ٢٥١-٢٥٢.

(٤) عن معركة حطين انظر: بهاء الدين المعروف بابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، سيرة صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: دار المنار، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) صص ٢٣٣-٢٣٥؛ علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: دار ابن رجب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) صص ١٩٣-٢٦٢.

(٥) عن الخوارزميين والدولة الخوارزمية انظر: حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة: دار الفكر العربي، بلا-ت).

بالقوة والوحشية.^(١) ثم تلا هذه الأحداث الزحف المغولي^(٢) على البلدان الإسلامية والذي كان من أقسى ما تعرضت له هذه البلدان لما رافقه من القتل والتكليف.^(٣) وقد كان وصول المغول إلى الفرات وقيامهم بالإغارة على ديار بكر والجزيرة وما أنزلوه بالبلاد من تدمير وتخريب مثيراً للاضطراب في بلاد الشام.^(٤)

أما من الناحية الداخلية فقد كان الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأيوبي هو سيد الموقف^(٥) مما ساهم في إضعاف هؤلاء الحكام أمام الأخطار الخارجية والهجمات التي

(١) ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٤٦.

(٢) بدأت هجمات المغول على البلاد الإسلامية مع بداية القرن السابع الهجري واستمرت تسقط الممالك الإسلامية حتى أسقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر: السيد العريني، المغول (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٦) صص ١٠٨-٣٢٠؛ فؤاد عبد المعطي الصباد، المغول في التاريخ (بيروت: دار النهضة العربية، بلا-ت) صص ١١١-٣٢٥.

(٣) حيث يذكر ابن الأثير «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها... فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين ... ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: ان العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم والى الآن لم يتلوا بمثلا لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها». أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨) ج ١٢، ص ٣٥٨؛ ويذكر ابن واصل «الواقعة العظمى والمصيبة الكبرى، وهو ظهور التتر وتملكهم في المدة القريبة أكثر بلاد المسلمين ومعاقلمهم، وسفك دماء المسلمين وسبي حريمهم وذرائعهم، ومذ بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم... لم يفجع المسلمون فجيعاً اعظم من هذه الفجيرة» «ابن واصل، مفرج الكرب، ج ٤، ص ٣٤؛ ويذكر السيوطي عن ذات الموضوع «هو حديث يأكل الأحاديث، وخبر يطوي الأخبار، وتاريخ ينسي التواريخ، ونازلة تصغر كل نازلة، وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض» «السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٣٠.

(٤) ابو الفداء، المختصر، ج ٣، ص ١٤٧.

(٥) حامد زيان علي زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية (القاهرة: دار

تعرضت لها المنطقة.

أما فكرياً فقد كان عصر ابن أبي الدم عصر انتعاش وازدهار علمي، فقد امتلأت بلاد الشام منذ أيام حكام الدولة الزنكية بالمؤسسات التعليمية المختلفة. وأوقفوا عليها الأوقاف للإنفاق عليها.^(١) ولم تكن حماه التي نشأ بها ابن أبي الدم بعيدة عن هذا الجو العلمي، حيث يذكر أبو الفدا عن الملك المنصور أحد ملوك حماة من أنه كان يكرم العلماء ويجزل العطاء لهم فازدهرت حركة التعليم في عهده، كما يشير إلى أنه كان في خدمته ما يقرب من مئتي عالم وفقه.^(٢)

إن هذه الظروف السياسية والفكرية جميعها ساهمت بشكل كبير في توجيه الكتابة التاريخية في هذا العصر وأثرت بشكل واضح في أساليب المصنفين ومن ضمنهم ابن أبي الدم.



الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) صص ٥١-٥٨.

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، صص ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) أبو الفدا، المختصر، ج ٣، صص ١٢٥-١٢٦.

المبحث الثاني

منهج ابن أبي الدم في كتابه التاريخ المظفري

⊙ أولاً: الخصائص العامة للكتابة التاريخية في عصره (ق ١٣/٥٧م)

شهد القرن ١٣/٥٧م بعض التطورات التي طرأت على طرق تدوين المادة التاريخية جعلت ما كتب له ميزاته عما سبقه من المصنفات التاريخية التي دونت في الحقب التي سبقت هذا العصر.

ولعل أبرز ما ميز التدوين التاريخي في هذا العصر كان ترك المؤرخين لمسألة الإسناد التي كانت تتقدم كتابة الأخبار مسندة ما فيها الى رواتها، وبترك المؤرخين لمسألة الإسناد انتهت صلة علم التاريخ بعلم الحديث واصبح للتاريخ منهجه المستقل.^(١)

لقد كان خلف هذا التطور في اسلوب التدوين التاريخي اسباباً عديدة منها ان المصنف لم يعد يستند الى الرواية الشفهية وانما يأخذ عن كتب مدونة لها مؤلفون معروفون ولذلك لم تعد الحاجة قائمة للإسناد، أيضا أصبح يعتمد على الوثائق الرسمية لدواوين الدولة، فضلا عن الأخبار المنقولة اليه مباشرة ومشاهداته الشخصية.^(٢)

لقد سلك مؤرخوا القرن ١٣/٥٧م في كتاباتهم التاريخية منهجين الأول هو التاريخ الحولي أو حسب السنين، والثاني التاريخ حسب الموضوعات.

(١) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون العرب ط ٣ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣) ج ١، ص ٣٧٨.

(٢) فرغلي، الحركة التاريخية، ص ١٤٥.

١ . التاريخ الحولي:-

يعتمد هذا الأسلوب تأريخ الحوادث حسب السنوات ، فالمؤرخ يجمع كل الأحداث التي دارت في تلك السنة ويدرجها ويبدأ فيها بكلمة «وفيها». وعند الإنتهاء من هذه السنة ينتقل الى التي تليها.

انتشر المنهج الحولي منذ استخدمه المؤرخ محمد بن جرير الطبري^(١) (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) وسمي هذا المنهج بمنهج الخبر الحولي ، ولكن ما ميز مصنفات القرن ٧هـ / ١٣م التي اعتمدت هذا الأسلوب في الكتابة ان مصنفها استغنوا عن مسألة الإسناد ، وانهم ضيقوا مفهوم التاريخ العام فقد اقتصرت كتاباتهم على تاريخ المسلمين دون التعرض للتاريخ السابق له ، كما أضاف كُتاب هذا العصر مادة جديدة الى كتب التاريخ اخذوها من كتب التراجم فهم يذكرون في نهاية كل سنة وفيات تلك السنة من العلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم.^(٢) ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتابة في القرن ٧هـ / ١٣م كتاب القفطي^(٣) (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)

(١) هو ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، ولد سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م في طبرستان ثم رحل في طلب العلم فدرس التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، أقام ببغداد الى حين وفاته سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، له التصانيف المشهورة منها تاريخ الأمم والملوك وكتاب التفسير وغيرها. عن سيرته انظر: ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، اللباب في تهذيب الأنساب (بغداد: مكتبة المثنى ، بلا- ت) ج ٢ ، ص ٢٧٤.

(٢) شاكر مصطفى ، التاريخ والمؤرخون ، ج ١ ، ص ٤١٢.

(٣) هو علي بن القاضي الأشرف يوسف بن ابراهيم بن الواحد بن موسى القفطي ، الوزير جمال الدين ابو الحسن الشيباني وزير حلب ، ولد بقفط من الصعيد الأعلى بمصر سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ، سكن حلب وولي بها القضاء في ايام الملك الظاهر ثم الوزارة في ايام الملك العزيز ، كان صدرا محتشما جماعا للكتب تساوي مكتبته خمسين الف دينار ، كانت وفاته بحلب سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ، من مصنفاته إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وكتاب اخبار مصر وغيرهما. عن سيرته انظر: ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٣٦.

«التاريخ على السنين» و«كتابي ابن ابي اصيبعة»^(١) (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) «المختار من عيون التاريخ» و«معالم الامم واخبار ذوي الحكم»^(٢).

الا ان ما يؤخذ على هذا النوع من الكتابة التاريخية هو تمزيقها للحوادث التي تمت لاكثر من سنة واحدة فيذكرها المؤرخ متفرقة مما يجعل احداثها غير مرتبطة و مفككة.

٢ . التاريخ حسب الموضوعات:-

حسب هذا النوع من الكتابة التاريخية نرى المؤرخ يؤرخ للدول أو لعهود الخلفاء والحكام.

أ - التاريخ للدول:-

مثال هذا النوع من الكتابة التاريخية جسده في القرن ١٣/٥هـ مؤرخ أبو شامة^(٣) (ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م) في كتابه «الروضتين في أخبار الدولتين النووية والصلاحية»، وكذلك ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) في كتابه «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب». ما ميز هذا النمط من الكتابة التاريخية هو اهتمام المؤرخ بالامور الإدارية بالنسبة لعهود من يؤرخ لهم من الحكام واعطاءها مساحة واسعة من الكتابة.

(١) هو موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي، ولد سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، تلقى الطب على يد رضي الدين الرحبي وابن البيطار، كانت أول نسخة من كتابه عيون الأبناء سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وقد أضاف عليه المؤلف زيادات كثيرة حتى عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م، كانت وفاته سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. عن سيرته انظر: موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي الخزرجي، (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) مقدمة كتابه عيون الأبناء في طبقات الأطباء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) صص ٣-٤.

(٢) فرغلي، الحركة التاريخية، ص ١٤٧.

(٣) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن ابي بكر المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة، ولد سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م بدمشق، عندما بلغ العاشرة من عمره ختم القرآن حفظاً، درس القراءات السبع والفقهاء والعربية والحديث ثم انصرف للدراسة التاريخية، تنقل بين مدارس دمشق وقد عين للتدريس في المدرسة الركنية والمدرسة الأشرفية، له مؤلفات كثيرة منها كتاب الروضتين في أخبار الدولتين وكتاب الذيل على الروضتين وشرح البردة وغيرها. كانت وفاته سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٩م. عن سيرته انظر: ابو شامة، مقدمة كتاب الروضتين، ج ١، صص ٧-٤٧.

ب - التاريخ حسب الطبقات:-

إن الطبقات في الاصطلاح يقصد بها تقسيم الناس على شتى جماعات، وقد ظهرت فكرة تقسيم الناس على طبقات مثلما يؤكد روزنثال^(٤) منذ عهود مبكرة من التاريخ العربي الإسلامي، وهي تتجلى عند المحدثين في التحقق من اتصال السند، وتوضح أهميتها في التحقق من شخص الراوي، ويحدد ابن ابي الوفاء فوائد كتب الطبقات في انها تعرفنا بمناب المتراجم لهم واقتباس محاسنهم وكذلك معرفة مراتبهم ومصنفاتهم ونشاطاتهم.^(٥)

وقد استخدم هذا النوع من الكتابة في القرن ١٣هـ/١٣م في ميادين غير دينية ومن ابرز من مثل ذلك الإتجاه ابن ابي أصيبعة حيث الف مصنفه الشهير في ميدان الطب المسمى «عيون الأبناء في طبقات الأطباء».^(٦)

ظهرت انواع جديدة من الكتابة التاريخية في القرن ١٣هـ/١٣م ومنها المنهج الذي يقوم على كتابة التواريخ المحلية وترى انه ظهر في هذا القرن في بلاد الشام ومصر إلا انه كان موجوداً في المشرق الإسلامي قبل هذا التاريخ^(٧)، ومن أبرز من مثل هذا النوع من الأسلوب

(٤) روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) صص ١٣٣-١٣٤.

(٥) محي الدين عبد القادر بن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، بلا- ت) ج ١، ص ٦.

(٦) فرغلي، الحركة التاريخية، ص ١٥٠.

(٧) ظهرت كتب التواريخ المحلية في المشرق الإسلامي قبيل ظهورها في مصر وبلاد الشام، ومن أول هذه الكتب كتاب «تاريخ نيسابور» للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م) والكتاب الآخر المهم هو كتاب «السياق على تاريخ نيسابور» لعبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م)، أيضا كتاب «تاريخ بيهق» لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ/١١٧٢م) الى غير ذلك من المؤلفات التي غطت حياة العلماء والأدباء والمشاهير في تلك المدن.

ابن العديم الحلبي^(١) (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م) في كتابه «زبدة الحلب في تاريخ حلب». أما المنهج الآخر الذي استحدث خلال هذا القرن هو منهج كتابة المختصرات للتواريخ العامة، ومن الأمثلة على هذا النوع ما كتبه ابن أبي الدم الحموي (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) وهو المختصر الذي عنوانه «التاريخ المظفري» وهو موضوع بحثنا ويمثل مختصراً لتاريخه الكبير.

بقي ان نذكر أن اسلوب الكتابة ذاته قد طرأ عليه بعض التطور من حيث الطريقة والأسلوب، حيث اصبح الأسلوب واضحاً بسيطاً غير معقد، وانتشر في طياته السجع، كما ظهر بشكل واضح الأسلوب الأدبي البليغ الذي جمع بين الأدب والتاريخ وخير من مثل هذا الأسلوب المؤرخ ابو شامة المقدسي.^(٢)

كذلك تميزت المصنفات التاريخية في القرن ٧هـ/١٣م بالإعتماد الكبير على الوثائق الرسمية فنراها واضحة في الكتب التي صنف في هذا العصر، ويبدو أن الهدف من ذلك ان أصحاب هذه المصنفات أرادوا ان تكون كتاباتهم أقرب الى الدقة والموضوعية فكان عليهم توثيق معلوماتهم وأخذها من منابعها الأصيلة فكانت محفوظات الدواوين هي المنبع الأساسي لهذه المعلومات.^(٣)

(١) هو كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم، ولد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، برع في مختلف العلوم، لما توفي والده اصبح مدرساً في مدرسة شاذبخت وهي من أجل مدارس حلب ولي التدريس فيها سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، وكان يلقي الوعظ في أكثر منابر حلب، وقلد القضاء، له مؤلفات عديدة منها كتاب «الدراري في ذكر الدراري» وكتاب «الأخبار المستفادة في ذكر بني ابي جرادة» وكتاب «ضوء الصباح في الحث على السماح»، عن سيرته انظر: كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم، مقدمة كتابه زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، بلا-ت) ج ١، صص ١٣-٥٨.

(٢) فرغلي، الحركة التاريخية، ص ١٥٣.

(٣) شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون، ج ١، صص ٣٨٠-٣٨١.

⊙ ثانياً: موارد في «التاريخ المظفري»

اعتمد ابن ابي الدم الحموي على مصنفات مختلفة كانت الأساس الذي استقى منها معلوماته ومن هذه المصنفات:-

- ١ - كتاب الخلفاء لمحمد بن اسحق ابو بكر المطليبي المدني^(١).
- ٢ - مصنفات محمد بن عمر بن واقد ابو عبد الله المدني الواقدي^(٢) وخاصة مصنفاته في المغازي والطبقات.
- ٣ - اعتمد ابن ابي الدم اعتمادا كبيرا على روايات ابو الحسن المدائني^(٣) خاصة عند الحديث عن السنوات الأولى من تاريخ الدولة الإسلامية ، خاصة في حوادث الفتح وموقعة الجمل وغيرها من الحوادث.
- ٤ - اعتمد ابن ابي الدم كذلك على مصنف تاريخي هو كتاب تاريخ يعقوبي لابن واضح يعقوبي^(٤).

(١) هو الإمام الحافظ محمد بن اسحق ابو بكر المطليبي المدني ، مصنف المغازي مولى قيس بن محزمة بن المطلب ، حدث عن ابيه وعمه موسى ، وعدد كبير من العلماء ، متبحر في المغازي والسير ، له العديد من المؤلفات أهمها السيرة النبوية ، وكتاب الخلفاء وغيرها. عن سيرته انظر: ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت١٣٤٨هـ/١٣٤٧م) ، تذكرة الحفاظ (بيروت: دار احياء التراث العربي ، ١٣٧٤هـ) ج١ ، ص١٧٢-١٧٣ .

(٢) هو حمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولا هم الواقدي المدني القاضي صاحب التصانيف والمغازي العلامة الإمام ، سمع من صفار التابعين بالحجاز والشام ، حدث عن محمد بن عجلان وابن جريج وثور بن يزيد والأوزاعي. عن سيرته انظر: الذهبي ، سير ، ج٩ ، ص٤٥٤ .

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الله البصري ابو الحسن وُلد ونشأ بالبصرة وسكن المدائن ثم انتقل الى بغداد ، روى عنه الزبير بن بكار وغيره ، له الكثير من التصانيف منها اخبار المناقنين وكتاب الردة وغيرها. عن سيرته انظر: سير ، ج٧ ، صص٢٣٠-٢٣١ .

(٤) هو ابو العباس احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ، كان جده من موالي بني هاشم ، كان والده من كبار عمال البريد في الدولة الإسلامية ، نشأ ببغداد ثم رحل الى أرمينيا وخراسان وزار الهند وفلسطين ثم أقام

- ٥ - اعتمد كذلك على كتب اللغة والأدب ومنها كتاب المبرد لمحمد بن يزيد بن عميرة بن حسان بن سليمان.^(١) وكتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني.^(٢)
- ٦ - ومن المصادر المهمة التي اعتمد عليها بن ابي الدم مصنفات ابو جعفر محمد بن جرير الطبري.
- ٧ - اعتمد كذلك على مصنفات ابو اسحق الثعلبي النيسابوري^(٣) ومؤلفات ابو نعيم الأصبهاني.^(٤)
- ٨ - وهناك مصادر اخرى مهمة اعتمد عليها ابن ابي الدم مصنفات كل من الخطيب

بمصر والمغرب وله مصنفات عديدة منها كتاب التاريخ وكتاب البلدان وغيرهما. انظر عن سيرته: احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، مقدمة تاريخ يعقوبي (د.م: مصبعة مصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ج ١، ص ٥.

(١) هو المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميرة بن حسان بن سليمان ولد بالبصرة عام ٢١٠هـ/ م، كان احد ائمة اللغة العربية والأدب والأخبار، له مصنفات عدة اهمها الكامل وكتاب المذكر والمؤنث كذلك طبقات النحويين البصريين. عن سيرته انظر: جمال الدين ابي الحسن الففطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج ٣، ص ٢٥٢.

(٢) هو علي بن محمد بن احمد بن الهيثم ابو الفرج الاصبهاني، ولد في بغداد ودرس على عدد كبير من علمائها، برع في فنون الأدب، كان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير فضلا عن كونه شاعراً، من مصنفاته كتاب الأغاني. عن سيرته انظر: ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٩٦٨م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان (بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ج ٣، ص ٣٠٨.

(٣) هو احمد بن محمد بن ابراهيم ابو اسحق الثعلبي النيسابوري، المفسر المشهور، له مصنفات عدة اهمها التفسير الكبير. عن سيرته انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٤٩٥.

(٤) هو احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن مهران الحافظ ابو نعيم الأصبهاني، ولد عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م وكان من اعلام المحدثين، من أشهر مؤلفاته حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. عن سيرته انظر: اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، بلا-ت) ج ١٢، ص ٤٥.

البغدادي^(١) وابو سعد السمعاني^(٢) وابن الجوزي^(٣) وغيرهم.

من خلال استعراضنا لموارد ابن ابي الدم نلاحظ انه اعتمد على مصادر متنوعة ومختلفة وفي علوم شتى أغنت كتابه، وقد اعتمد على مصادر أصيلة في نقل الأحداث.

⊙ ثالثاً: منهجه

يذكر القاضي شهاب الدين ابن ابي الدم الأسباب التي دعت لتأليف هذا الكتاب بقوله: «وقد كنت فيما مضى من الزمن متشوقاً الى أن أخدم الجنب العالي الأعظم الأفخم السلطان الملكي المظفري خلد الله سلطانه وأعظم شأنه بتصنيف كتاب أقص فيه شكر النعم وأقيم به رسم الخدمة واجتني بما اتعاطاه ثمار القبول، وابلغ بتصنيفه غاية المأمول، ثم جنحت الى التواني دهرًا للتخير في تعيين العلم الذي اقصد بالتصنيف وتخصيص الفن الذي يقع موقع الرضى من الرأي الشريف الى أن حقق الله الأمل بسلطنته وأعاد الحق الى نصابه بمملكته، فوقع اختياري على تأليف كتاب مختصر في التاريخ اطرزه بذكر دولته وتاريخ

(١) هو احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي ولد عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م ببغداد ونشأ بها، سمع الحديث ودرس الفقه على جماعة كبيرة من العلماء ثم رحل الى البصرة ونيسابور واصبهان وهمدان والشام والحجاز ثم رجع الى بغداد، اطلق عليه الخطيب لأنه كان يخطب في احدى قرى بغداد، له مصنفات عدة منها تاريخ بغداد وكتاب الكفاية في علم الرواية وغيرهما. عن سيرته انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٠٢.

(٢) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور ابو سعد السمعاني ولد بنيسابور سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م، ونشأ نشأة علمية حيث حفظ القرآن وتعلم الفقه، درس على يد جماعة من العلماء في اصبهان وبغداد والكوفة ودمشق وبخارى وسمرقند وبلخ، له مصنفات عدة منها النسب والذيل على تاريخ بغداد وغيرهما. عن سيرته انظر: الذهبي، تذكرة، ج ٤، ص ١٣٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن الجوزي، ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، درس وتعلم الى أن أصبح عالماً في مختلف فنون العلم في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ، له مجالس مشهورة حضرها الخلفاء والوزراء والأمراء والأعيان، له مصنفات عدة منها كتاب المنتظم في أخبار الملوك والأمم، توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م. عن سيرته انظر: الذهبي، سير، ج ٢١، صص ٣٦٥-٣٧٩.

مملكته ونشر فضائله»^(١).

ويتضح مما تقدم ان ابن ابي الدم كان قد ألف كتابه هذا ليكون هدية الى الملك المظفر تقي الدين محمود. ويذكر ابن ابي الدم انه ذكر الأحداث حتى وقت هذا السلطان إلا ان النسخة التي بين ايدينا تنتهي بنهاية الدولة الأموية فلا نعلم ان الجزء الباقي والذي لم يطبع هل هو موجود ام انه ضاع ولم يصل الينا. اما المنهج الذي اتبعه ابن ابي الدم في هذا الكتاب فقد أوضحه في مقدمة كتابه بقوله: «وجعلته تاريخاً اسلامياً أبتدي فيه بعون الله تعالى بذكر المصطفى صلوات الله عليه وسلامه وذكر نسبه وسيرته من ابتداء نشوءه والى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم. ثم اشتاق بعد ذلك ذكر الخلفاء خليفة خليفة على سياق السنين الهجرية وأذكر في ولاية كل خليفة من كان في زمنه من العلماء والفضلاء والمستحسن من أخبارهم على سبيل الإختصار وأختم ذلك كله بذكر ولاية مولانا السلطان الملك المظفر أعز الله أنصاره ونصره ورفع في الدنيا والآخرة قدره ليكون ختامه مسكاً»^(٢).

نرى من كلام ابن ابي الدم نفسه على منهجه انه جمع كثيراً مما تميزت به طرق التدوين التاريخي خلال القرن ٧هـ/١٣م فهو يستخدم الأسلوب الحولي حيث يذكر «على سياق السنين الهجرية» ونراه من خلال حديثه انه ينقل الروايات من المصادر التاريخية المعروفة ويترك مسألة الإسناد التي تميز بها المنهج الحولي، ايضاً هو يستخدم اسلوب الإختصار «على تأليف كتاب مختصر» وهو يبتدئ فيه من تاريخ الإسلام ويترك ما قبل ذلك.

ومن أهم ما يلاحظ على كتاب التاريخ المظفري:-

١ - جاء كتابه مختصراً في التاريخ الإسلامي ولم يدخل في تفضيلات كثيرة، ومثال

(١) شهاب الدين ابراهيم ابن ابي الدم (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، التاريخ المظفري، تحقيق: حامد زيان (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٩) صص ٤٩-٥٠.

(٢) ابن ابي الدم، التاريخ المظفري، ص ٥١.

ذلك ما يذكره عن موضوع الهجرة الى الحبشة حيث يقول «ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه اصحابه من الجهد والعذاب امرهم بالمهاجرة الى الحبشة وصاحبها يومئذ النجاشي فهاجروا وهم اثنان وثمانون رجلاً اميرهم جعفر بن ابي طالب فأكرمهم النجاشي واحسن جوارهم»^(١) وكذلك مسألة بداية التاريخ الهجري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢)، وغير ذلك من الحوادث، فهو بذلك جسد بشكل واضح أحد أنماط الكتابة التاريخية في القرن ٧هـ/١٣م.

٢ - ترك المؤلف الخوض في تفاصيل سير المعارك ووصف الجيوش ومثال ذلك ما ذكره عن معركة اليرموك «...وقعة اليرموك في رجب خرج هرقل ومعه من العرب اثنا عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم ومن الروم مائة وعشرون ألفاً عليهم الصقلار وخرج المسلمون اليهم وهم اربعة وعشرون ألفاً عليهم ابو عبيدة بن الجراح فالتقوا باليرموك فاقتتلوا قتالاً شديداً اخره أن الله عزوجل قتل من المشركين سبعين ألفاً وقتل الصقلار وباهان وقتل من المسلمين عمرو بن سعيد بن العاص وابان اخوه وذهب ابن اسحق في رواية الى أن وقعة اليرموك كانت قبل القادسية وفي رواية عنه انهما كانتا في سنة واحدة سنة خمسة عشرة»^(٣) فوقعة اليرموك على أهميتها هذا ما يورده عنها ابن ابي الدم، كذلك يذكر الفتوحات في سنة ستة عشر «فتحت تكريت وضم سعد ما أخذ منها فحصل ثلاثة آلاف درهم وللراجل الف درهم، وفيها فتحت ماسبذان، وفيها كانت وقعة قرقيسيا»^(٤) فنرى من هذه الأمثلة ان ابن ابي الدم يذكر معلومات مقتضبة فيما يخص الفتوح والمعارك.

(١) المصدر ذاته، ص ٧٣.

(٢) المصدر ذاته، ص ١٣٩.

(٣) ابن ابي الدم، التاريخ المظفري، ص ١٣٣.

(٤) المصدر ذاته، ص ١٣٨.

٣ - اهتم القاضي شهاب الدين ابراهيم بن ابي الدم اهتماماً كبيراً بسير الخلفاء والملوك والقادة، وحرص على توضيح كافة الجوانب الإيجابية والسلبية في سياستهم ومثال ذلك نراه عند حديثه عن أول الخلفاء الراشدين ابو بكر الصديق، فهو يذكر اسمه ونسبه وما يتعلق بحياته ثم يورد اسلامه وصحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك ينتقل للحديث عن مبايعة الناس له بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يوضح الأحداث التي جرت في عهده ابتداءً بحروب الردة مروراً ببعض الفتوحات وانتهاءً بوفاته ومكان دفنه.^(١) ومثال آخر على ذلك خلافة عبد الملك بن مروان^(٢) والتي يسهب فيها بذكر معظم الأحداث التي جرت في عهده سواء كانت ثورات أو حركات دينية أو سياسية.^(٣)

٤ - ركز ابن ابي الدم على العلماء والفقهاء فهو يذكرهم في عهد كل خليفة تقريباً ويذكر فضلهم ومثال ذلك «وفيها توفي عبد الرحمن بن ابي ليلي كان مجتهداً عالماً وله مذاهب منقولة»^(٤) كذلك «وفيها توفي ابو بكر محمد بن سيرين كان من فقهاء التابعين وزهادهم وعلمائهم»^(٥) وأيضاً «فيها مات نافع مولى عبد الله بن عمر وهو شيخ الإمام مالك بن انس وكان عالماً وزهداً»^(٦).

٥ - بالرغم من ان الكتاب القاضي ابن ابي الدم الحموي كان مختصراً إلا انه احتوى على

(١) المصدر ذاته، صص ١١٦-١٢٤.

(٢) دامت خلافته (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) ودامت ثلاث عشرة سنة وخمسة اشهر. عن سيرته انظر: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩) ج ٦، صص ٤١٨-٤٢٢.

(٣) ابن ابي الدم، التاريخ المظفري، صص ٢٣٣-٢٥٥.

(٤) المصدر ذاته، ص ٢٥٧.

(٥) المصدر ذاته، ص ٣٠٨.

(٦) المصدر ذاته، ص ٣١٣.

الكثير من الأبيات الشعرية التي يوردها في أماكن مختلفة من كتابه، ومثال ذلك ما أورده عند حديثه عن خلافة عمر بن عبد العزيز^(١) وحكاية دخول الشعراء عليه^(٢) وكذلك ما نراه عند حديثه عن خلافة يزيد بن عبد الملك^(٣).^(٤) وكذلك خلافة هشام بن عبد الملك^(٥).^(٦) ومواضع أخرى كثيرة في طيات كتابه.

٦ - يقوم ابن أبي الدم بنقده الروايات التي ترد في المصادر المختلفة التي ينقل عنها ومثال ذلك تصحيحه لما ذكره اليعقوبي عن حادثة دفن سليمان التي قام بها عمر بن عبد العزيز وثلاثة من أولاد سليمان^(٧). وكذلك تصحيحه لتاريخ مقتل الحسين رضي الله عنه التي يوردها البغدادي عن أبي نعيم الأصبهاني^(٨). وغير ذلك من الروايات.

٧ - تميز ابن أبي الدم بالأمانة العلمية فهو يذكر مصادره التي استقى منها معلوماته^(٩). مما تقدم نرى أن كتاب القاضي شهاب الدين ابن أبي الدم له ميزات عديدة أوضحت لوناً جديداً من الكتابة التاريخية التي ظهرت في القرن ١٣هـ/١٣م.

(١) كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م). عن سيرته انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج ٦، صص ٥٦٥-٥٧٣.

(٢) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، صص ٢٧٢-٢٨٠.

(٣) دامت خلافته (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م). عن سيرته انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، صص ٢١-٤٢.

(٤) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، ص ٣٠٤.

(٥) دامت خلافته عشرين سنة إلا خمسة أشهر (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م). عن سيرته انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج ٧، صص ٢٠٠-٢٠٨.

(٦) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري، صص ٣١٦-٣٢٦.

(٧) المصدر ذاته، صص ٢٦٦-٢٦٨.

(٨) المصدر ذاته، ص ٢٠٩.

(٩) المصدر ذاته، ص ٥٦، ص ٥٧، ص ٦٨، ص ٦٩، ص ١١٩. وغير ذلك كثير.

الخلاصة

كنا نستعرض في هذا البحث شخصية القاضي شهاب الدين ابن ابي الدم الحموي ومنهجه في كتاب التاريخ المظفري.

تناولنا في المبحث الأول سيرته الذاتية فأوضحنا اسمه ونسبه ومراحل دراسته وتدرجه في تحصيل العلوم حتى وصل درجة الإمامة في المذهب الشافعي، وبرع في كثير من فنون العلم منها التاريخ والحديث وغيرهما كما بينا مؤلفاته التي كانت متنوعة وفي علوم شتى، من أهمها التاريخ المظفري وكتاب الفرق الإسلامية وكتاب أدب القضاء وشرح مشكل الوسيط وغيرها، ثم بينا تاريخ وفاته وهو سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ثم ختمنا المبحث بأهم الملامح السياسية والفكرية التي تميز بها عصر ابن ابي الدم الحموي واوضحنا كيف ان عصره كان من أفسى العصور التي مرت على الأمة الإسلامية فكانت الغزوات الخارجية المتمثلة بالصليبيين والمغول وداخلياً كانت النزاعات والخلافات التي كانت دائرة بين حكام الدول آنذاك، ولكن برغم ذلك كان العصر عصرًا مزدهراً فكرياً وظهر فيه العديد من العلماء وقد اهتم حكام المدن في تلك الفترة بالعلم والعلماء مما ساهم في حالة الإزدهار.

اما في المبحث الثاني فقمنا بتحليل منهج واسلوب ابن ابي الدم الحموي في كتابه التاريخ المظفري، حيث بينا في النقطة الأولى اسلوب الكتابة التاريخية في عصر ابن ابي الدم اي في القرن ٧هـ/١٣م، حيث تبين انه قد استجدت انواع من انماط الكتابة التاريخية تميز بها هذا القرن ومنها كتابة التواريخ المحلية، كذلك اسلوب المختصرات التاريخية والتي مثلها كتاب ابن ابي الدم، ايضاً قد طرأ تغيير على الأساليب القديمة ومنها الأسلوب الحولي حيث ترك من كتب فيه مسألة الإسناد التي كانت تميز من استخدم هذا

الأسلوب قبل هذا القرن، أما في النقطة الثانية فقد بينا الموارد التي اعتمد عليها القاضي ابن ابي الدم في كتابه وقد كانت متنوعة ما بين كتب التاريخ وكتب الأدب وكذلك كتب السير والمغازي ومن هذه الموارد كتاب تاريخ الرسل والملوك لأبي جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب الكامل للمبرد وهو في الأدب وكتاب الواقدي وغيرها من الكتب وأوضحنا كيف انه نقل من هذه المصادر وصحح ما جاء فيها، أما في النقطة الثالثة فقد أوضحنا الطريقة التي اعتمدها في كتاب التاريخ المظفري، حيث ان كتابه جاء مختصراً للأحداث، وانه ترك الخوض في تفاصيل المعارك ووصف الجيوش، واهتم اهتماماً واضحاً بسير الخلفاء والملوك والقادة بالإضافة الى اهتمامه بالعلماء الذين ذكروهم في عهود مختلفة، أيضاً احتوى كتابه رغم الإختصار على الكثير من الأبيات الشعرية، وقد تميز المؤلف بالأمانة العلمية في صفحات كتابه، وقد أوردنا في هذه النقطة العديد من الأمثلة التي توثق هذه الميزات.



المصادر والمراجع

⊙ المصادر

- ابن ابي أصيبعة ، موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- ابن الأثير، محمد بن محمد بن الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
- الكامل في التاريخ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨).
- اللباب في تهذيب الأنساب (بغداد: مكتبة المثنى، بلا-ت).
- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م).
- طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الله الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- ابن ابي الدم الحموي، شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م).
- أدب القضاء، تحقيق: محي هلال سرحان (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- التاريخ المظفري، تحقيق: حامد زيان (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٩).
- الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- تذكرة الحفاظ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب ارناؤوط - محمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت:

- مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
- السبكي، ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م).
- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو- محمود الطناحي (القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي، بلا- ت).
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م).
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق: ابراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- ابن شداد، بهي الدين.
- سيرة صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: دار المنار، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك.
- الوافي بالوفيات (بيروت: دار صادر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م).
- تاريخ الرسل والملوك، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩).
- ابن العماد، عبد الحي بن احمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، بلا- ت).
- ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، بلا- ت).
- ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

- المختصر في أخبار البشر (بيروت: دار الكتاب اللبناني، بلا- ت).
- ابن قاضي شهبة، ابو بكر احمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م).
- طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- القفطي، جمال الدين ابو الحسن (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٤م).
- البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، بلا- ت).
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م).
- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (د.م: د. مط، بلا- ت).
- ابن ابي الوفاء، محي الدين عبد القادر (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م).
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، بلا- ت).
- اليعقوبي، احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن وافع.
- تاريخ اليعقوبي (د.م: مطبعة مهر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).

⊙ المراجع

- ابراهيم فرغلي.
- الحركة التاريخية في مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجري (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).

- بهي الدين زيان.
- الغزالي ولمحات عن الحياة الفكرية الإسلامية (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).
- البغدادي، اسماعيل باشا.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (بيروت: دار احياء التراث العربي، بلا- ت).
- حافظ احمد حمدي.
- الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة: دار الفكر العربي، بلا- ت).
- حامد زيان.
- الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية (القاهرة: دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- روزنثال.
- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح احمد العلي، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- الزركلي، خير الدين.
- الأعلام، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، بلا- ت).
- شاكر مصطفى.
- التاريخ والمؤرخون العرب (بيروت: دار العلم للملايين، بلا- ت).
- الصلابي، علي محمد.
- صلاح الدين الأيوبي (القاهرة: دار ابن رجب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- الصياد، فؤاد عبد المعطي.

-
- المغول في التاريخ (بيروت: دار النهضة العربية، بلا-ت).
 - العريني، السيد الباز.
 - المغول (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٦).



